وصول الركاب . ولهم جميعا وجوه عربية جميلة ، وجوه سامية عتيقة ببشرة سمراء وعيون سوداء . واحدق بهم ، ويختلف هذا بالنسبة لي عن رؤية عرب في حالة اجتماعية او قاعة محاضرات في الولايات المتحدة . هؤلاء هم عرب في العالم العربي ، خاضوا حروبا مختلفة في لبنان ، ومزقت حياتهم الام لا حصر لها . واذ انظر الى وجوههم متسائلا كيف حولتها التوترات المستمرة طيلة العقدين الماضيين ، ادركانني انظر الى الوجوه ايضا بنوع من الوجل والقلق ، وكأن وترا حساسا اصيب في ، مطلقا مخاوف قديمة . ربما كان الخوف الذي خامرني دائما في العالم العربي حيث ان اكون فلسطينيا في تلك الايام كان يعني ان اكون الآخر والأقل في نظام الاشياء ، للصيد للسباب من قبل هؤلاء الذين ارادوك دوما قريبا من الباب من اجل الطرد او الابعاد او السجن السهل .

استدير ويطلب مني ابو كريم ان اعطيه جواز سفري ورقم امتعتي . فافعل ذلك ونعبر الجمرك دون ان يفتشوا حقائبي ، ونمر عبر دائرة الهجرة ويختم جواز سفري في غيابي . واتساءل : كيف يستطيع ان يفعل ذلك ونحن **فلسطينيون** ؟

ومع انني اعي ، فكريا على الأقل ، التغييرات التي حصلت هنا ، فما زالت توجعني صور الفلسطينيين الموحشة في العالم العربي التي اخذتها معي عندما تركت هذا المكان لعشرين سنة خلت . وظللت افكر ان شرطيا ما سيعتقلني في اية لحظة الآن بوصفي فلسطينيا « شيوعيا ملحدا » ويورطني في مؤامرة ما لاحداث تغيير تحويلي في المجتمع . انا مثل رجل اصيب بالعمى ويستمر في ادراك واقعه في سياق صور يتذكرها .

خارج المطار اقع اسير مشهد يحبس الانفاس ، مشهد حميم ومتمم لطفولتي في بيروت حتى ان جميع حواسي تجفل .انه مشهد شارع،وسائقو سيارات الاجرة يحومون حول مركباتهم والبائعون واولاد العلكة والحمالون والصيارفة وكثيرون غيرهم ممن اختاروا منطقة المطار ليقوموا فيها باعمالهم ، جميعهم يصرخون في بعضهم البعض ، وفي العالم حولهم ، او يمتدحون صفات ما هم يبيعون . واصاب بالدوار من حدة المشهد والألم . اذ ها هنا ترعرعت ، وهكذا ترعرعت كطفل ، لعدد من السنين بعد ١٩٤٨ ، في شوارع بيروت ، بائعا ، سارقا ، جائعا ، متشاجرا ، وشاقا طريقي في الحياة . ها هنا اكتسبت تربيتي الاصلية قبل ان ابدأ في اكتساب مظهر تربية اكاديمية . في هذه الشوارع عينها . ويمد طفل لا يكاد يبلغ العاشرة ، مرتديا سترة رجل اكبر حجما منه ، صندوقا من العلكة في اتجاهي : « علكة ، ارجوك ! » .

هذا ليس صحيحا . هذا ليس واقعيا . الم يتغير شيء في لبنان ؟ حرب اهلية ازهقت ارواح الالوف ، من المقاتلين والمدنيين ، ولم يتغير شيء . كيف يمكن ان يقال ان شيئا قد تغير في لبنان اذا كان ما يزال هناك اطفال في الشوارع يبيعون العلكة ؟

« انا عربي » اقول لهم ، لجميع الاطفال المتجمهرين حولي ومعهم علب علكة التشكلس الممدودة نحوي وكأنها نياشين الشقاء والهزيمة . « لست اجنبيا . انا فلسطيني » اقول لهم وهم يكلمونني بنوع من الانكليزية .

واظل اقول : « انا عربي . انا فلسطيني » . وكأنني اريد فجأة ان اخلع كل السخام الفكري عن جسدي وروحي الذي اكتسبته في غربتي الغربية ، واحس بدافع قوي لمجرد الوقوف